نساء شهيرات

«الفيلسوفة أديت شتاين»

هي من الشخصيات الفذة التي عرفها النصف الأول من القرن العشرين واهتم بها الدارسون من الأوساط الفلسفية واللاهوتية في أوروبا وأمريكا حياتها بكاملها كانت مغامرة في طريق البحث عن (الحقيقة) (وضع كلمة الحقيقة بين مزدوجين هو من قبلنا لأن لكل إنسان رؤيته للحقيقة) وإذا عرفنا إنها فيلسوفة أي ذات فكر قائم على المساءلة الدائمة أدركنا أنها كرست حياتها للبحث لأن طريق الحقيقة عندها هو طريق البحث وأن البحث هو التزام بما يلتمسه الباحث وهي كفيلسوفة اعتبرت من شروط الفيلسوف أن يعيش الحقيقة التي يبحث عنها فالحقيقة بالنسبة إليها لابد أن تكون حية نامية وفاعلة وطبعاً لكل باحث رؤيته أو فهمه لما يعتبر أنه الحقيقة.

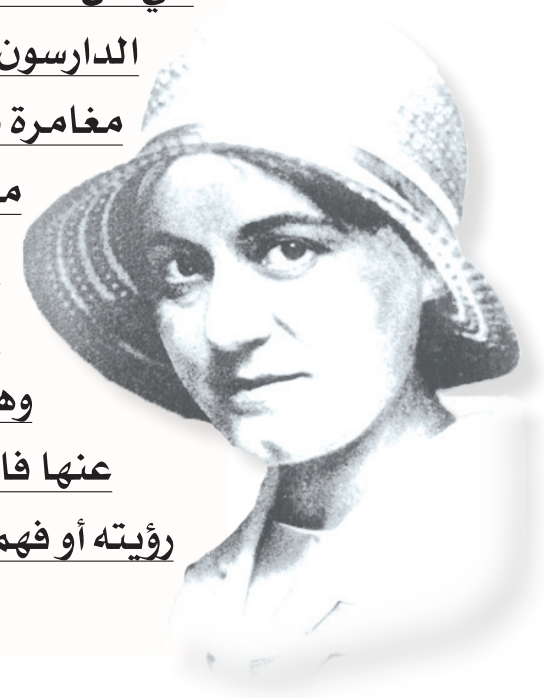

› إعداد / داليا عدنان الصادق

وقد ذهب البحث بأديت شتاين مذاهب ودفعها في طرق متعددة بل مختلفة ولكن مبدأ البحث هو ما ينفي التناقض بين تلك الطرق.

في عام 1987م عندما قام البابا يوحنا بولس الثاني بتطويب أديت شتاين كشهيدة توقف عن هذا البعد في حياتها بعد البحث والذي جعلها تستقبل الموت كجزء من طريقتها ورسالتها فقال إن هذه المرأة الفريدة غير العادية قد انشغلت بلا كلل في البحث عن الحقيقة فلسفياً في البداية ثم دينيا.

وعشرات الكتاب والدارسين الذين كتبوا عنها كفيلسوفة أو عن اعتناقها الكاثوليكية توقفوا عند ظاهرة البحث المتواصل في حياتها. وحياة هذه الفيلسوفة ثم الراهبة الباحثة عن الحقيقة حافلة بالغرائب والتحولات.

ولدت أديت شتاين عام 1891م في برسلو بألمانيا لأسرة يهودية متدينة مكونة من سبعة أبناء وبنات بينهم أختها روز التي سترافقها في سنواتها الأخيرة وتموت معها.

مات أبوها وهي في الثانية من عمرها فنهضت الأم المتدينة والصلبة بأعباء أسرتها بشجاعة وحزم ومقدرة تفوق قدرة الرجال وهيأت لأبنائها شروط الدراسة المتميزة والحياة اللائقة.

أظهرت أديت شتاين مواهب عالية أثناء سنوات الدراسة ولاسيما في المرحلة الثانوية لكن مع أنها طالعة من أسرة شديدة التدين وفي ظل أم مسيطرة فإنها فقدت الإيمان كلياً منذ سن الخامسة عشرة.

وفي سن التاسعة عشرة من عمرها التحقت بالجامعة لدراسة التاريخ والفلسفة ثم عادت وتخصصت في الفلسفة وحدها. حضرت دروس الفيلسوفين ستيرن وهو يزينغوالد وكانت الطالبة الوحيدة لديهما ومع إلحادها أظهرت ميلاً واهتماماً كبيراً بالقضايا الإنسانية والاجتماعية.

في هذه المرحلة نفسها تعرفت على فلسفة هو سرل واستعوتها فانتقلت إلى جامعة غوتنغن لتدرس مباشرة على يد هذا الفيلسوف. في هذه المرحلة تحررت من واقعية عما نويل كانط (صاحب الكتاب الشهير نقل العقل المحض) لتكشف الاتجاه الفينومينولوجي (الظاهراتي) لدى هو سرل، ولما انتقل هو سرل إلى جامعة فيبورغ عام 1916م لحقت به وصارت مساعدة له وفي هذه الأثناء واصلت دراستها وبحثها إلى جانب هو سرل.

وكان المساعد السابق لهو سرل واسمه ريناخ فذجند وسيق إلى الجبهة حيث قتل وحلت هي محله.

موت ريناخ وموقف زوجته الشابة أمام الفاجعة كان من عوامل الانقلاب في حياة أديت شتاين فريناخ وزوجته كانا يهوديين اعتنقا الكاثوليكية وقد بلغ من إيمان الزوجة الشابة وعمق أحزانها أنها واجهت فاجعة موت زوجها بشجاعة وبلا مناحة بل على العكس التمست العزاء في العطاء فنذرت نفسها كاملة للمساعدة على تخفيف آلام الآخرين وإعانتهم في المحن. هذا السلوك كان من بين العوامل التي دفعت أديت شتاين إلى اكتشاف المعاني الدينية لكن في المسيحية وسوف تواجهها مواقف أخرى ومؤثرات قادمة عن طريق فلسفة اللاهوت ومن تجارب شخصيات الكنيسة سيكون من شأنها أن تعزز خطواتها في اتجاه الكاثوليكية.

في هذه الأثناء كانت قد أكملت كتابة أطروحتها للدكتوراه في الفلسفة وناقشتها في عام 1919م.

ثم ذات يوم وبينما هي لدى أحد الأصدقاء رأت كتاب السيرة الذاتية للقديسة تريز آفيلا استعارته وقرأته فأثر فيها تأثيراً عميقاً حتى أنها اعتنقت الكاثوليكية بعد ذلك.

لكن هذا الاختيار لم يعجب الأم اليهودية المتدينة وقامت المشكلات بين الأم وابنتها ولم تهدأ تلك المشكلات حتى موت الأم ومع أن أديت كانت تحترم تدين أمها لكنها تمسكت بخيارها بعناد وحزم بل فكرت أن تصير راهبة غير أنها لم تحسم أمرها وتلتحق بالدير إلا بعد مرور عشر سنوات.

وفي هذه المرحلة وبين 1923م و1933م مارست اديت التدريس واختارت غالباً المعاهد الكاثوليكية وعاشت حياة أشبه بحياة الراهبات انصرفت إلى اللاهوت وقراءة المفكرين المسيحيين ولاسيما القديس توما الأكويني وانتقلت للتدريس في المعهد في مونستر وترجمت بعض أعمال الأكويني وكتبت دراسة حول أفكاره.

الأوساط الكاثوليكية استقبلت هذه الفيلسوفة الجديدة بحفاوة تخاطفتها المنابر وتنقلت في انحاء ألمانيا وخارجها لإلقاء المحاضرات في موضوعات مختلفة فلسفية ولاهوتيه وأيضاً في قضايا تحرر المرأة وحقوقها، وفي هذه المرحلة نفسها كتبت بحوثا في الفلسفة واللاهوت وحول قضايا المرأة وأرادت أن تعلم في الجامعة ومع أن هيدغر نفسه رشحها لمنصب جامعي ودعمها فقد وقف النازيون في وجهها بسبب أصلها اليهودي وكان هتلر قد وصل إلى السلطة عام 1933م وموجة اضطهاد اليهود قد اتخذت بعداً جديداً وإن لم تكن قد تكشف عن الفظائع التي ستنتهي إليها.

كثيرون حاولوا كبح التصاعد في القمع العنصري النازي لكن دون جدوى. وأديت شتاين نفسها كتبت للبابا بيوس الحادي عشر حول الاضطهاد المتزايد لليهود ورجته أن يفعل شيئاً، على كل حال ما لبثت أن عزلت من عملها كمدرسة لكونها من أصل يهودي.

في ذلك العام نفسه أقامت إلى جانب أمها في محاولة لمواساتها في أيامها الأخيرة لكنها لم تنجح، ولما وجدت نفسها بلا عمل ولا قدرة على الحراك الثقافي صار في إمكانها تحقيق رغبتها المتزايدة منذ عشر سنوات في الدخول في سلك الراهبات الكرمليات.

التحقت بالدير عام 1933م واختارت اسم بنيديكت دي لاكروا وبالطبع فقد اتهمها أقاربها وأصدقاء العائلة بأنها هربت من القمع النازي ولم يقتنع بصدق إيمانها إلا أختها روز . وروز لم تلبث بعد وفاة الأم عام 1936م اعتنقت الكاثوليكية بدورها ثم في مرحلة لاحقة دخلت سلك الرهبنة الكرملية.

وفي دير الكرمليات انصرفت أديت شتاين أو الأخت بنيديكت إلى الكتابة لكن كتابتها جنحت نحو اللاهوت بشكل حاسم وكتبت تأملات فلسفية لاهوتية بينها كتاب (الكينونة الفانية والكينونة الأبدية) وهو أضخم كتبها ويقع في 530 صفحة.

كما انصرفت إلى دراسة حول أفكار القديس يوحنا الصليب وضعت كتاباً حول الفينولوجيا والفلسفة المسيحية وآخر بعنوان المرأة ومصيرها وآخر بعنوان المرأة كما كتبت كتاباً بعنوان في مسألة الدولة فضلاً عن كتب حول حياة القديسين وبدأت كتابة سيرتها الذاتية، كتبت 548 صفحة بعنوان (الحياة في أسرة يهودية) وهي سيرة غير مكتملة، ولها كتب عديدة بقيت باللغة الألمانية ولم تترجم إلى الفرنسية والإنكليزية.

عام 1938م اتخذ اضطهاد اليهود في ألمانيا شكلاً ينذر بالخطر وهناك في الدير واصلت الكتابة.

لكن في عام 1942م ومع استمرار الحرب وتقدم الألمان في الأراضي الواطئة وصل الخطر النازي إلى هولندا وبدأ الدير يفكر في نقل الأخت بنيديكت وشقيقتها إلى سويسرا. ذلك أن النازيين لم يعودوا يقتصرون على اضطهاد اليهود بل تجاوزهم إلى من سموهم (اليهود الكاثوليك) أي اليهود الذين اعتنقوا الكاثوليكية وطبعا من هؤلاء أديت شتاين وأختها روز وهكذا بدأت زيارة ضباط الغشابو إلى دير الكرمليات واستدعاء أديت وروز للتحقيق وأول ما قاموا به هو طبع حرف (كي) على جوازي سفرهما على غرار ما يطبع على هويات اليهود وشبكوا على صدريهما نجمة داود باللون الأصفر. كما فرضوا على الأختين اسم سارة الذي فرض على جميع النساء اليهوديات.

وفي هذا كله كانت أديت شتاين أو الأخت بنيديكت هادئة ولم تتوقف عن الكتابة والصلاة.

ثم جاء اليوم المنتظر حين اقتحم الغستابو الدير ذات مساء رغم احتجاجات الرئيسة وساقوا الأختين إلى أحد المعتقلات حيث جمعوا (اليهود الكاثوليك) وفي ذلك المعتقل كان الاتصال بالعالم الخارجي لايزال ممكناً عبر البريد أو الطرود.

وبعض أسرى ذلك المعتقل نجا من الموت ولم يجر سوقه إلى أوشفيتز وهؤلاء الناجون قد نقلوا أخباراً مدهشة عن سلوك الأخت بنيديكت في الأسر فقد أوقع سلوكها أثراً عميقاً. كانت شديدة الهدوء غارقة في التأمل وسط هلع المعتقلين وانفعالهم والبلبلة التي تسود بينهم أما هي فقد انشغلت بالتعزية والتهدئة وأحاطة النساء اللواتي فقدن الأزواج والأبناء وكانت بعض الأمهات من فرط القلق والضياع قد أهملت الاهتمام بأطفالها لانشغالها بالبكاء والانهيار. فكانت الأخت بنيديكت هي التي تهتم بالصغار وبنظافتهم وتتدبر أمر إطعامهم، بل عنيت بالنظافة العامة التي أهملها المعتقلون يأساً وقنوطاً كل ذلك فعلته بألم صامت عميق وبلا تذمر أو شكوى وفي ذلك المعتقل عاشت فكرتها التي سيطرت عليها هي التي رأت الإيمان محبة وإصغاء عميقاً وبحثاً يخترق الهول ملتمساً طريق النور الذي ينبثق مما وراء الظلمات.

ثم ذات يوم كانت أحدى طالبات مدرسة الكرمل تنتظر في محطة للقطار فلمحت قطاراً متوقفاً وعلى باب إحدى المقطورات تقف الأخت بنديكت وتصرخ باسمها وسمعتها تقول:

أنقل سلامي إلى راهبات الدير قصاصة ورق فيها نحن في طريقنا إلى بولونيا تحيات من الأخت بنيديكت لما استطعلت راهبات الكرمل بكل الوسائط عن مصير الأخت بنيديكت تبين أنها قضت مع شقيتها في إحدى غرف الغاز في أوشفنيز فور وصولهما كان ذلك في يوم 9 آب/ أغسطس 1942م.

وضعت أديت شتاين قرابة عشرين كتاباً ومداخلة مطولة إضافة إلى أطروحتها وكتبت عنها كتب عديدة تتجاوز العشرين كتاباً فضلاً عن عشرات المقالات والمحاضرات.

نص

قلعة صيرة

› كمال محمود علي اليماني

يا قلعة حبك يأسرني
في رحلة عمري والأسفار
يكتبني أجمل أبيات
تتهادى في دنيا الأشعار
ماجئت إليك لكي أحكي
أوأحمل شيئاً من أخبار
أو أروي قصصاً عن حب
أو عشقٍ يجتذب السمّار
ياقلعة حبك لي وطن
ينثر لي في عيني الأقمار
سر مجنون يفضحني
يتراقص مابين الأسرار
اخترت جنونك يمنحني
زخات البهجة والأنوار
أطيافاً تزرع أوردتي
ببريق عيونك إذ اختار
يعصف بي، حقاً يعصف بي
ما أجمل عاصفة الأقدار

اقصوصة

رؤيا

› عبدالعزيز بن بريك

كان قد تسلق شجرة النسيان في تلك الحديقة التي شهدت اللقاء الأول والأخير تهامسا دون أن يسمع من كان بالقرب منهما المصطبة الاسمنتية هي وحدها تعرف مادار من همس.

عندما استرجع ذاكرته وهو يهم بالنزول من على الشجرة اقترب من مكان جلوسهما وبالقرب من المصطبة رأى جسدين ارتطما على المصطبة وخرا صريعين

لم يصدق ما رأى اقترب أكثر منهما كان ثمة رؤيا علقت بذاكرته منذ زمن.

فلاشات ثقافية

الفن من أجل السلام في مؤسسة الإبداع بصنعاء

■ صنعاء/ عبدالحميد رزاز:

ضمن فعاليتها الأدبية والثقافية المختلفة لهذا العام نظمت مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب والفنون بمقر المؤسسة بصنعاء ندوة حملت عنوان «الفن من اجل السلام» و شملتَ دور الفن والثقافة في ترسيخ ثقافة السلام والتعايش في المجتمع. وفي الندوة التي أدارتها التربوية آمال الحسيني تطرقت إلى أهمية الفن كثقافة مجتمعية في ترسيخ مبادئ السلم الاجتماعي ودوره في نقل رسالات القيم الإنسانية من أجل نبذ العنف والتطرف وحماية الحقوق الإنسانية والمجتمعية بعيداً عن التعصب السياسي والديني .

الروائي الغربي عمران تحدث عن الأحداث والاضطرابات التي تعصف بالبلد (الفن روح الإنسانية ..الفن.. الحرية أشياء إن عدمت عدم الإنسان). وقال مترجما الفن أنه معطى للحب (أنا أقرن السلام بالحب ولا يوجد سلام إلا للحب ويأتي السلام لرغبة بالحياة) .

وركزت ورقة الشاعر ريان الشيباني التي قدمتها عنه الإعلامية آسيا ثابت على تجربة الفنان مراد سبيع عقب ثورة الشباب والتي حملت عنوان (لون جدار شارعك) وعن المخفيين قسرا والتي حملت عنوان (الجدران تتذكر وجوههم) ومعلقا عليها (كانت الحصبة، تبدو وكأنها منطقة مغلقة، عندما دخلها، مراد سبيع للرسم. رأيته وهو يكافح لإقناع جنود ومسلحين بأن ما يفعله لا يمثل عدواناً على أحد) وأستعرض في ورقته احد المواقف المؤثرة التي شكلت عمق الفن في بناء السلم الاجتماعي حول (الصور التي بثتها وكالة "رويترز" في منتصف شهر أبريل منَ العام 2012،والتي شكلت مصدر إلهام، حقيقي لكل من رآها من اليمنيين، والأخوة العرب، لحالة الوئام الاجتماعي لما بعد ثورات الربيع العربي. قائلاً : ولازلت أتذكر تعليق صديقة سورية على صورة ظهر فيها مسلحون قبليون في منطقة الحصبة وهم يتأملون من الخلف رسامين شباب انهمكوا على جدران لطالما لونت في فترة سابقة من العام 2011، بدماء وأشلاء المتقاتلين هناك. وقالت الصديقة السورية وهي تعيد مشاركة الصور: إلى إخواننا السوريين أنظروا إلى الشعب اليمني الرائع. هذا شيء لا يصدق.) مشيراً إلى أن الفن تركَ بصمتهَ في بناء السلم بشتى مجالاته ..

الفنان نبيل قاسم تحدث في الفعالية قائلاً أن الفن قد لا يقضي على الشر ولكنه يشذب الشر كون فكرة السلام فكرة مثالية غير موجودة في الواقع والبعد الجمالي يشكل مفهوماً له هويته الخاصة وان الفن له مقاييس أخرى غير مقياس الأدب كونه مرتبط بذوقية الناس ومرتبطا بالروح الإنسانية ..

حضر الفعالية عدداً من الشخصيات الأدبية والثقافية ومن الوسط الفني.

صباحية شعرية لشعراء محافظتي إب وتعز

■ اب/ عبدالحميد:

ضمن الفعاليات الاحتفائية بالعيد الوطني الـ 24 للوحدة اليمنية المباركة أقام مكتب الثقافة بمحافظة إب واتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين بالمحافظة صباحية شعرية أحياها شعراء من مدينتي إب وتعز (عبدالإله الشميري – وثيق البريهي- أحمد طارش خرصان – محمد الحالمي – محمد الغيثي – هناء السماوي -نايف الجبري – سبأ البعداني) والذين تغنوا بالوحدة والوطن ومنها (قيثارة الوجد-تسبيحة قبل الرحيل – عيدُ قلبي – وجه ثلاثي الأوجاع – كرما لوجهك –تنهيدة – بما معناه). وفي الفعالية ألقى الأخ علي الزنم وكيل المحافظة أشاد فيها بالكلمة وطريقها الروحاني في التعبير عن حال الوطن وتحمل في طياتها مجموعةً من الصدق المطلق ودور الشعراء في النهوض بأ المجتمع فهم يمثلون الواجهة الرئيسية لأي بلد بعيداً عن السياسة .

وفي كلمته هنأ الأدباء والشعراء بالعيد الوطني شاكراً مكتب الثقافة على مواكبته للفعاليات الثقافية والأنشطة الأدبية بمختلف أقسامها وترسيخ قيم الولاء الوطني والانتصار للوطن أرضاً وأنساناً فيهم حضر الفعالية مدير مكتب الثقافة بالمحافظة عبدالحكيم مقبل والعديد من الأدباء والمتابعين .

فلاشات ثقافية